

ونحن إذا ألقينا نظرة في هذه الآية، وأخذنا نتفهمها بالحس اللغوي، رأينا أن في التعبير (بصرفنا إليك) القصد المتوجه إلى الرسول بهذا الصرف في مثل هذه الحالة لتطبيب خاطره، وتسلية نفسه المجاهدة، حتى تزداد اطمئنانا في جهادها وعزما في كفاحها. وتعجبنى في هذا المقام لفظة لطيفة من الكاتب الأمريكي "ارفينج" في كتابه "حياة محمد" حيث يقول:

"هذه الزورة من الجن فيها عزاء ئ تسلية لمحمد بعد رجوعه من الطائف تلك الرجعة المؤلمة، إذا فيها إشارة له إلى أنه إذا كانت دعوته وتعاليمه قد نبذت ورفضت من معشر الأنس فقد قوبلت باحترام وإعجاب من الجن عالم الذكاء الغيبي غير المرئي" ثم وقعت له بعد رجوعه من الطائف حادثة الإسراء، ولا شك أن فيها ترفيهاً روحانياً، وسمواً نفسانياً، واتصلاً ومشاهدات، وانسا ونفحات، وفي كل ذلك تسلية أي تسلية، وعزاء أي عزاء، وكأن في هذه الرحلة آ الخارقة رمزاً لرحلة أُخرى آتية ئ تهيئة لهجرة منتظرة منتظرة، فما رجع صلى ﷺ عليه وآله وسلم من إسرائه، حتى أخذ يتجه اتجاهها جديداً في نشر دعوته، إلى أن ختم هذا الاتجاه بالهجرة إلى المدينة. أرأيت كيف أن ﷺ تعالى يتولى عباده المجاهدين وجنوده المصلحين بالرعاية، ويمنحهم ما يخفف من محنهم، وينسيهم ألم ابتلائهم، ويملاً قلوبهم بأمل النجاح، ونفوسهم بلذة الانتصار. روى البخاري في صحيحه عن خبّاب بن الأرتّ، قال: شكونا إلى رسول ﷺ صلى ﷺ عليه وآله وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة: قلنا يا رسول ﷺ: ألا تستنصر لنا من ﷺ عزوجل؟ قال عليه الصلاة والسلام: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه. وﷺ ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاً إلى حضرموت لا يخاف إلا ﷺ أو الذنب على غنمه).